تحسين النسل

(EUGENICS)

دراسة طبية فقهية

د. إسماعيل غازي مرحبا(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الأمورَ الطبيةَ مستجدةٌ وتحتاجُ إلى دراساتٍ علميةٍ متعددةٍ للوصولِ إلى الصورةِ الواضحةِ والحكمِ العادلِ الصحيحِ، ولا تكفي دراسة علمية هنا أو بحث طبي هناك لإعطاء غالب الموضوعات الطبية حقَّها المطلوب.

لذا كانت المؤتمرات والندوات الفقهية الطبية والمجلات العلمية المحكمة من الأهمية بمكان للوصول إلى التصور الكامل والصحيح لمثل هذه المستجدات.

ولا بدّ للتوصل إلى الحكم الشرعي لما يتعلق بهذه المستجدات من معرفة حقيقتِها وواقعِها وأهدافِها، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بها؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

يقول الإمام ابن القيم: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علماً. **والنوع الثاني:** فهم الواجب في

(*) أستاذ مشارك فى الفقه المقارن – جامعة طرابلس .

الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يُطبّق أحدهما على الآخر.

فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً[1]، فالعالِم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله ﷺ "[2]اهـ.

وهذا البحث الذي بين أيدينا لا يخرج عن هذين النوعين من الفهم، حيث يحتاج إلى فهم الواقع أولاً، ثم فهم الواجب ثانياً.

لذا قد يُبسط الكلام في بعض مباحثه في أمور طبية أو فنية ذات علاقة بموضوعه حسب الخطة المرسومة، بغية الإحاطةِ -قدرَ المستطاع- في فهم الواقع؛ إذ فهم حكم الله تعالى الذي هو الغاية المطلوبة والأمنية المنشودة، مترتب على الإحاطة بهذه الأمور الطبية أو الفنية.

أسباب اختيار الموضوع

أهم الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

١-عدم وقوفي على بحث علمي مفرد أو غير مفرد في هذا الموضوع.

٢-كون هذا الموضوع جامعاً بين الكتابة في الفقه الإسلامي المقارن، وبين فقه النوازل والواقعات.

٣-قلة البحوث العلمية التي تُبيّن الحكم الشرعي في مسائل نوازل الطبّ.

---

(١) لقول النبي ﷺ : ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)). أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٧٣٥٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٧١٦) كلاهما من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) إعلام الموقعين (١/٨٧-٨٨).

٤-انتشار الموضوع وشيوعه ، وبذل الأموال في سبيله، مما يستدعي معرفة الحكم الشرعي لهذه العملية.

٥-أنه موضوع مهم يتعلق بأجيال الأمم القادمة من الناس.

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة ومباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: ١- الافتتاحية. ٢- أسباب اختيار الموضوع.

٣- خطة البحث. ٤- المنهج المتبع في هذا البحث.

المبحث الأول: تعريف تحسين النسل (eugenics).

المبحث الثاني: تاريخ تحسين النسل.

المبحث الثالث: تحسين النسل أثناء خلق الإنسان.

المبحث الرابع: طرق تحسين النسل القديمة والحديثة.

المبحث الخامس: مساوئ تحسين النسل.

المبحث السادس: تحسين النسل باستخدام التعديل الوراثي (الجيني).

الخاتمة: تلخيص لأهم النتائج مع التوصيات.

منهج البحث

منهجي الذي اتّبعته في هذا البحث -بفضل الله تعالى- هو على النحو التالي:

١- بذلتُ قصارى وُسعي وجهدي لإحصاء ما يتعلق بالموضوع من أحكام.

٣- درست الأحكام الشرعية الواردة في المسألة بذكر أقوال العلماء المعاصرين وآرائهم مع نسبة كل قول لقائله، وذكر الأدلة لكل قول مع ذكر ما يرد عليه من اعتراضات ثم الترجيح وسببه.

٤- توثيق نسبة الأقوال لقائليها.

٥- البحث عن الدليل من الكتاب أو السنة للمسائل المذكورة في البحث.

٦- محاولة إرجاع المسائل النازلة إلى المسائل الفقهية القديمة والبناء عليها.

٧- الرجوع إلى الكتب والبحوث أو المقالات في المجلات والصحف، أو غيرها من وسائل الإعلام الحديث كالإنترنت ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، وقد ذكرت مواقع الانترنت التي اعتمدت عليها دون ذكر عنوان الموقع في صلب البحث اكتفاء بما في فهرس المصادر والمراجع حيث ذكرت أسماء المواقع المعتمدة مع ذكر عناوينها.

٨- ذكرتُ أرقام الآيات القرآنية مع بيان سورها، وكتبتها بالرسم العثماني.

٩- خرّجتُ الأحاديث النبوية مع مراعاة الأصول المتبعة.

١٠- وضعت في نهاية البحث فهرساً للمصادر والمراجع.

* *

المبحث الأول

تعريف تحسين النسل (eugenics)

المطلب الأول: شرح المفردات:

- أما كلمة (تحسين) فمأخوذة من الحسن، "والحاء والسين والنون أصلٌ واحد، فالحُسن ضد القبح، يُقال: رجل حسنٌ وامرأة حسناء ... والمحاسن من الإنسان وغيره: ضدّ المساوئ"[1]، "**وحَسَّنْتُ الشيء تَحْسِيناً**: زيّنته"[2].

وهذه المادة تُطلق على الأفعال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] فالأمر بالإحسان هنا عمل[3]، وأصرح منه قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[هود: ٧].

وتُطلق على الأقوال أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[4] [البقرة: ٨٣].

وكما تُطلق على الأخلاق الفاضلة، كما في الحديث الشريف: ((إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً))[5].

---

(١) معجم المقاييس لابن فارس (ص٢٦٢).

(٢) الصحاح للجوهري ٢٠٩٩/٥.

(٣) قال ابن جرير في تفسيره ٥٩٥/٣: "يعني جل ثناؤه بقوله:﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصيَّ، ومن الإنفاق في سبيلي، وَعَوْدِ القوي منكم على الضعيف ذي الخَلَّة فإني أحبّ المحسنين في ذلك".

(٤) قال ابن كثير في تفسيره ١١٤/١: "وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: كلموهم طيباً، وليِّنوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف".

(٥) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٦٠٣٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (٢٣٢١)، واللفظ له، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فإنها تُطلق أيضاً على الصُور والأشكال، كما قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤، التغابن: ٣][١].

- وأما كلمة (النسل) فـ"النون والسين واللام أصلٌ صحيح يدلّ على سَلِّ شيءٍ وانسلاله، والنّسل: الولد؛ لأنه يُنسل من والدته"[٢].

وأما الكلمة الأعجمية (eugenics) فهي مكونة من كلمتين (eu) و(genics): فكلمة (eu) فهي تعني: طيّب أو حسن أو سويّ أو حقيقي[٣]. وكلمة (genics) فهي تعني: وراثي أو مكوّن أو مُولّد أو مُنشئ[٤].

المطلب الثاني: شرح التركيب:

بجمع كلمتي (تحسين) و (النسل) يكون المعنى اللغوي: تزيين الذرية وإزالة كلّ قبيح فيها من فعل أو شكل أو خلق. وبتركيب الكلمتين الأعجميتين (eugenics) يكون معناها: تحسين النسل أو علم تحسين النسل[٥].

المطلب الثالث: بيان المراد اصطلاحاً:

أما المراد من مصطلح (تحسين النسل) فقد وقفت له على عدة تعريفات، منها:

١- **تحسين النسل** هو: دراسة جميع قوانين الوراثة التي يمكنها تحسين العرق الإنساني[٦].

---

(١) قال الإمام القرطبي في تفسيره: ١٥/٢١٤: "﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي: خلقكم في أحسن صورة".
(٢) معجم المقاييس لابن فارس (ص١٠٢٤)، وانظر: القاموس المحيط ٤/٥٧.
(٣) انظر: قاموس حتي الطبي الجديد (ص١٥٠).
(٤) انظر: قاموس حتي الطبي الجديد (ص١٧٠).
(٥) انظر: قاموس حتي الطبي الجديد (ص١٥١).
(٦) هذا تعريف فرانسيس غالتون، كما في موقع (شبكة النبأ الإلكترونية)، ونص تعريفه كما في موقع (ويكيبيديا) هو: =

ففي هذا التعريف جعل تحسين النسل مجرد دراسة في قوانين الوراثة.

والحقيقة أن تحسين النسل أكبر من ذلك؛ إذ له طرق متعددة متشعبة، فمنها ما هو مبنيٌ على قوانين الوراثة ومنها ما ليس مبنياً عليها، كما سيأتي إن شاء الله.

٢- **تحسين النسل** هو: العلم الذي يتعامل مع جميع المؤثرات التي تؤدي إلى تحسين وراثي(١).

وفي هذا التعريف جعل تحسين النسل علماً من العلوم، والحقيقة أنه ليس علماً قائماً بذاته؛ لأنه إنما يعتمد على عُلوم أخرى كعلم الوراثة وبعض علوم الطب وغيرها، لذا فوصفه بالعلم كبير في حقه.

٣- **تحسين النسل** هو: علم تطوير العرق الإنساني؛ ويتعلق ذلك بتحسين ظروف المعيشة والبيئة العقلية والنفسية والأدبية لمصلحة الأجيال القادمة، ويشمل الانتقاء الجنسي وتطوير التعاون والعلاقات الاجتماعية بين الجنسين(٢).

وفي هذا التعريف جعل تحسين النسل علماً من العلوم، وقد سبق ما فيه.

ومما يُلاحظ في هذا التعريف تعميم التحسين الوراثي ليشمل مع التحسين الوراثي أنواعاً أخرى من التحسينات، وهذا أمر جيد.

"the study of all agencies under human control which can improve or impair the racial quality of future generations".

(١) هذا هو التعريف الثاني لتحسين النسل الذي وضعه غالتون في عام ١٩٠٤م، ونصه كما في موقع (ويكيبيديا) هو:

"the science which deals with all influences that improve the inborn qualities of a race; also with those that develop them to the utmost advantage".

(٢) هذا تعريف موقع (الطبي، القاموس الطبي العربي).

٤- **تحسين النسل** هو: حركة أو مذهب أو اتجاه يضم أفكاراً أو أنشطة تهدف إلى تحسين نوعية البشر عن طريق معالجة العيوب الوراثية للمرضى (اليوجينيا الإيجابية) أو التخلص منهم وتصفيتهم (اليوجينيا السلبية)[١].

وفي هذا التعريف النظر إلى تحسين النسل من حيث المجموعة التي تتبناه وتعمل على نشره، فمجموع الناس الذين يأخذون به ويشجعونه يُنظر إليهم إلى أنهم حركة أو مذهب أو اتجاه، ونحن يهمنا كثيراً النظر إلى تحسين النسل من حيث طرائقه المتعددة ومن ثمّ إعطاء الحكم الشرعي.

كما أن هذا التعريف اقتصر على التحسين الوراثي أيضاً.

والمهم في هذا التعريف الإشارة إلى أن تحسين النسل على نوعين: إيجابي وسلبي، الأمر الذي خلا منه التعريفان السابقان.

وأرى أن يُعرّف تحسين النسل بما يلي:

تحسين النسل هو كلّ طريقة يتم بموجبها تحقيق أمور مرغوبة في الذرية لم تكن في أصلها، أو إلغاء أمور غير مرغوبة كانت في أصلها.

شرح التعريف:

(كل طريقة يتم بموجبها) ليشمل الطرق المتنوعة والمختلفة، فتحسين النسل ليس طريقة واحدة، إنما طرق تختلف عن بعضها كلياً، ويجمع هذه الطرق أن غرضها الوصول إلى تحسين النسل.

وبهذا يكون التعريف شاملاً للتحسين الوراثي والتحسين غير الوراثي.

---

(١) هذا تعريف الدكتور كارم السيد غنيم، في كتابه: الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء (ص ٣٣٣).

(تحقيق أمور مرغوبة في الذرية لم تكن في أصلها) وهذا إشارة إلى النوع الإيجابي من التحسين الوراثي، سواء كان عن طريق العلاج الوراثي أو غيرها من طرق التحسين الوراثي.

فتحسين النسل الإيجابي كما يكون بالعلاج الوراثي عن طريقة معالجة العيوب الوراثية كما سبق في التعريف الأخير، فإنه يكون بالإرشاد الوراثي بتشجيع إنجاب الأفراد السليمين والمعافين من العيوب الوراثية، كما يكون بمساعدة الأفراد السليمين والمعافين على الإنجاب ولو بالطرق الحديثة والصناعية، وأيضاً قد يكون بتيسير بعض البلدان هجرة الأفراد المميزين وأصحاب العقول إليها، وكذلك يكون بتوفير العلاج والغذاء وكافة أساليب الحياة للأشخاص الذين يحملون صفات القوة والشجاعة والذكاء وحتى الجمال[١].

وواضح أنه إنما يُستخدم تحسين النسل الإيجابي في الناس المرغوب فيهم[٢].

(أو إلغاء أمور غير مرغوبة كانت في أصلها) وفي هذا الإشارة إلى النوع السلبي من التحسين الوراثي، والذي يكون أيضاً عن طريق العلاج الوراثي أو غيرها.

فتحسين النسل السلبي كما يكون بالتخلّص من حاملي الأمراض الوراثية، فقد يكون بالإرشاد الوراثي بإعاقة ومنع الأفراد حاملي الأمراض الوراثية من الزواج، كما يكون بمنع من تزوج منهم من الإنجاب أو إعاقته أو حتى تعقيمه، وأيضاً يكون بمنع أو تضييق بعض البلدان من يحمل صفات غير مرغوب بها بالهجرة إليها، وكذلك يكون بمنع أو إعاقة العلاج أو الغذاء بل حتى المسارعة

---

(١) انظر: إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (ويكيبيديا).

(٢) انظر: موقع (ويكيبيديا).

إلى تنفيذ ما بات يُعرف بـــ(الموت الرحيم) على من يحمل صفات أو أمراض أو أخلاق غير جيدة أو حتى أولئك العاطلين عن العمل[١].

وواضح أنه إنما يُستخدم تحسين النسل السلبي في الناس غير المرغوب فيهم[٢].

كما تجدر الإشارة إلى أن تحسين النسل كما يكون فردياً فإنه يكون أيضاً جماعياً فيما إذا كان عملاً منظماً من جهات حكومية أو غير حكومية على مستوى شعب ما أو دولة أو عرق معين، كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً باتخاذ قرارات حول تعقيم المتخلفين عقلياً، أو ما قامت به ألمانيا قديماً بإبادة للشعوب بهدف سلامة عرقها[٣].

وأيضاً يمكن تقسيم تحسين النسل إلى نوعين[٤]:

الأول: تحسين النسل الإلزامي الذي تفرضه الحكومات على شعوبها.

الثاني: تحسين النسل الطوعي الذي تُروّج له الشركات والمؤسسات المختلفة، ولكن لا يكون بشكل إلزامي من الحكومات.

وقد ارتبط في أذهان الكثيرين (تحسين النسل) بتحسين النسل عن طريق تعديل المورِّثات (الجينات)، ولعل سبب ذلك يعود إلى أنه إنما اشتهر (تحسين النسل) في العصر الحديث معتمداً على علوم الوراثة وعلمائها.

---

(١) انظر: إغراء تحسين النسل لـــ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (ويكيبيديا).

(٢) انظر: موقع (ويكيبيديا).

(٣) انظر: إغراء تحسين النسل لـــ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (ويكيبيديا).

(٤) انظر: موقع (ويكيبيديا).

المبحث الثاني

تاريخ تحسين النسل

يُرجع المختصون هذا المصطلح في زماننا هذا إلى ثمانينات القرن التاسع الميلادي، وتحديداً إلى الإنكليزي فرانسيس غالتون (Francis Galton)، الذي كانت له عدة مؤلفات تناول فيها بشكل أو بآخر هذا الموضوع[١].

فـ"بعد إخفاقه الدراسي في (كامبردج)، وجه غالتون اهتماماً خاصاً (تبعاً لشهادته الشخصية) إلى هذه القضية: ما الذي يكمن وراء الأفراد الأكثر موهبة؟ قاده هذا إلى أن يطبع في عام ١٨٦٤ مقالاً مطولاً عن "الموهبة الوراثية" (le talent héréditaire)، وبعده طبع عملين شددا هما أيضاً على الانتقال الوراثي للمواهب والملكات:

"العبقرية الوراثية" (١٨٦٩) (Heredity genius)، ورجال العلم الإنكليز: بين الطبيعة والتغذية [بين الطبع والتطبع] (١٨٧٤) (English men of science: their nature and nurture).

وبمساعدة الإحصاء اجتهد غالتون في إثبات فرضية أوحت له بها تصوراته الشخصية: الأفراد "الأكثر موهبة" هم في الغالب أقارب حميمون لأفراد هم أيضا شديدو الموهبة"[٢]، بل "كتب غالتون عام ١٨٧٣ مقالا حول "التحسين الوراثي"؛ أوضح فيه أنه من أولويات ما يتوجب على الإنسانية هو أن تساهم طوعا بالعملية العامة لـ"الانتقاء الطبيعي"[٣]، وأوجد في العام ١٩٠٨م التربة الاجتماعية ذات العلاقة بتحسين النسل[٤].

---

(١) انظر: إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان).
(٢) إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان) على العنوان السابق.
(٣) المصدر السابق. وانظر أيضاً: موقع (ويكيبيديا).
(٤) انظر: موقع (شبكة النبأ المعلوماتية).

إلا أن قضية تحسين النسل ليست بالأمر الجديد وإنما هي قضية قديمة قد تكون بعمر البشرية تقريباً[١]؛ إذ شغلت بال الكثيرين على مر السنين، حتى إنه – تحسين النسل– كان معروفاً عند العرب في الجاهلية فعن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: ((أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، **ونكاح آخر** كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، **وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد**، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ... فلما بُعث محمد ﷺ هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم))[٢].

وقد مارست كثير من القبائل القديمة والحضارات المختلفة أموراً تشير بشكل أو بآخر إلى تحسين النسل كإلقاء الأطفال حديثي الولادة غير الأسوياء في قاع هاوية[٣].

وقد بلغ تحسين النسل الذروة الشعبية له في العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي، ثم بدأت هذه الشعبية بالانخفاض في العام (١٩٣٠م) حين بدأ يوصف تحسين النسل بأنه التبرير للسياسات العنصرية التي تقوم بها ألمانيا وما تبع ذلك من الإبادة الجماعية لأفراد كثيرين[٤].

---

(١) انظر: موقع (ويكيبيديا).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٥١٢٧).
ومعنى: (استبضعي منه) أي: اطلبي منه المباضعة، وهو الجماع. انظر: فتح الباري (١٨٥/٩).

(٣) انظر: موقع (ويكيبيديا)، وموقع (شبكة النبأ المعلوماتية).

(٤) انظر: موقع (ويكيبيديا).

وأهم حقبة من تحسين النسل والتعقيم كانت بين العام ١٩٠٧م والعام ١٩٦٣م، حيث تم في هذه الفترة تعقيم أكثر من (٦٤) ألف شخص قسراً بموجب تشريعات تحسين النسل في الولايات المتحدة الأمريكية، فى حين نجد أن ألمانيا النازية قامت بعمليات تعقيم جماعية لأكثر من (٤٥٠) ألف شخص[١].

والجديد في هذه المسألة: القيام بتحسين النسل بطرق جديدة مستحدثة، أهمها وأكثرها إثارة للجدل هي تحسين النسل بالتعديل الوراثي (الجيني)، وبهذا الاعتبار تُعدّ هذه المسألة من النوازل المعاصرة. والله تعالى أعلم.

* *

(١) انظر: موقع (ويكيبيديا)، وموقع (شبكة النبأ المعلوماتية).

المبحث الثالث

تحسين النسل أثناء خلق الإنسان

لقد سنّ الله أن يكون تكاثر الإنسان عن طريقة اجتماع النطفة المذكرة والنطفة المؤنثة، وأثناء هذا الاجتماع لتلك النطفتين وأثناء عملية تكوين الأمشاج (Zygot) فإن الله قدّر أنه يتم تحسين للنسل؛ ومن هنا يختلف الأبناء عن الآباء ولا يتطابق الأبناء والآباء، هذا ما أفاده الدكتور محمود عبد الله إبراهيم نجا[1] حيث يقول: "خلق وتصوير الأمشاج في الأصلاب (gametogenesis) بدأ الله خلق الذرية في الأصلاب بخلق الخلايا الجنسية (Germinal cells) المكونة للحيوانات المنوية في آدم (Spermatogonium) والمكونة للبويضات في حواء (Oogonium).

والخلايا الجنسية في الخصية و المبيض تحتوى على ٤٦ كروموسوم فردى (٢٣ زوجا) مثل الخلايا الجسدية، وكل كروموسوم يتكون من خيطين متصلين بنقطه مركزية(centromere) على شكل حرف اكس (صوره ٤)، وهذه الكروموسومات تظهر في الخلية في فترات انقسامها.

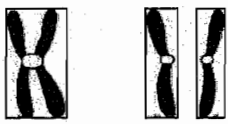

نصف كروموسوم كروموسوم كامل

(صوره ٤. شكل الكروموسوم)

(١) مدرس مساعد بقسم الفارماكولوجيا الإكلينيكية، كلية طب، جامعة المنصورة، مصر، كما في مصدر البحث.

يتم خلق الأمشاج من الخلايا الجنسية على النحو الآتي:

أولاً: الانقسام التضاعفي = الميتوزى (Mitosis):

الهدف منه زيادة عدد الخلايا الجنسية وتكوين مخزون للمستقبل. في هذا الانقسام يحدث انشطار لكل كروموسوم في الخلية الجنسية إلى نصفين بحيث تتحول الـ ٤٦ كروموسوما كاملا في الخلية الجنسية إلى ٩٢ نصف كروموسوم، يتبع ذلك انقسام الخلية الجنسية إلى خليتين متماثلتين تحتوى كل منهما على ٤٦ نصف كروموسوم. بعد الانقسام إلى خليتين يتم تصوير (نسخ) كل نصف كروموسوم في كل خلية ليعطى النصف المكمل له بحيث تتحول أنصاف الكروموسومات إلى كروموسومات كاملة (صوره ٥).

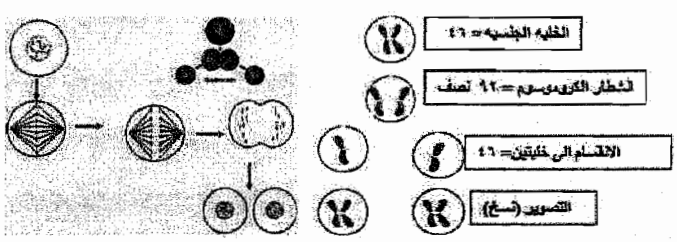

(صورة ٥ . الانقسام التضاعفي = الميتوزى)

ثانياً: الانقسام الاختزالي = الميوزى (Meiosis):

الهدف منه تحويل الخلية الجنسية في الأصلاب إلى الأمشاج وذلك على مرحلتين:

١- الانقسام الاختزالي الأول = التنصيفي (الميوزى الأول): (صورة ٦)

يهدف إلى اختزال عدد ٤٦ كروموسوما فرديا كاملا (٢٣ زوجا) في الخلية الجنسية إلى نصف العدد في الأمشاج أي ٢٣ كروموسوما فرديا كاملا. وفيه تنقسم الخلية الجنسية إلى خليتين كل منهما تحتوى على ٢٣ كروموسوم فرديا كاملا وتسمى الخلية المشيجية الأولية.

مع العلم بأنه أثناء الانقسام التنصيفي الأول يحدث تبادل لبعض الجينات بين كل كروموسومين من الكروموسومات الزوجية المتماثلة في الشكل، وهذا ما يعرف في الوراثة باسم التصالب (كيازما) أو العبور (= CHISMATA Cross over). **ويعد التصالب المسئول الرئيسي عن تحسين النسل**؛ حيث ينشأ عنه اختلاف في صفات الأمشاج الجينية بعضها عن بعض وعن الأصل بحيث إن الأبناء لا تشابه الآباء، وبحيث يختلف البشر بعضهم عن بعض. وعملية التصالب لكي تحدث تمر بالخطوات الآتية (صورة ٧):

أ- في كل زوج من الكروموسومات الزوجية المتماثلة يحدث ميل لأحدهما على الآخر.

ب- التعانق بين كل كروموسومين من الكروموسومات الزوجية المتماثلة في الشكل.

ت- تكثف بعض من أجزاء الكروموسومات المتعانقة ليتكون عليها عقد (loop = Knob) قريبة الشبه من بكرة الخيط (Slooped skeins) المتصلة بخيط رفيع أو رأس الإنسان على عنقه.

ث- تثاقل العقد على أطراف الكروموسومات المتعانقة (أو تثاقل الرأس على العنق إذا مالت جانبا) .

ج- هذا التثاقل عند أطراف الكروموسومات المتعانقة يؤدى إلى حدوث توتر عند العنق لا يزول إلا بحدوث تشققات عند العنق (Craks) ينشأ عنها تقطع أطراف الكروموسومات المتعانقة إلى قطع صغيرة مع تبادل القطع بين الكروموسومات المتعانقة لكي ينشأ تغيير في صفات الأمشاج الجينية عن بعضها عن بعض وعن الأصل.

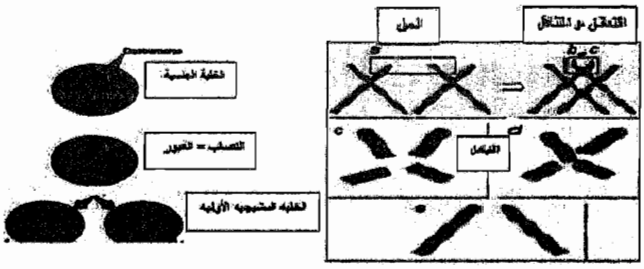

(صورة ٦. الانقسام المیوزی الأول)

(صوره ٧. خطوات التصالب)

٢. الانقسام الاختزالي الثاني = المتساوي (الميوزي الثاني): (صورة ٨)

يهدف إلى تضاعف الخليتين المشيجيتين الأوليتين الناتجتين من الانقسام الميوزي الأول إلى أربع خلايا مشيجية ثانوية لها نفس التركيب الجيني للخلية المشيجية الأولية، أي انقسام دون تحسين وراثي. وحاصل الميوزي الثاني في الذكر هو أربع حيوانات منوية كل منها يحتوى على ٢٣ كر وموسوما فرديا كاملا ، أما في الأنثى فبويضة واحدة وثلاثة أجسام قطبية كل منها يحتوى على ٢٣ كروموسوما فرديا كاملا. وخطوات هذا الانقسام هي نفس خطوات الانقسام التضاعفي (الميتوزي) السابق شرحه (صوره ٥).

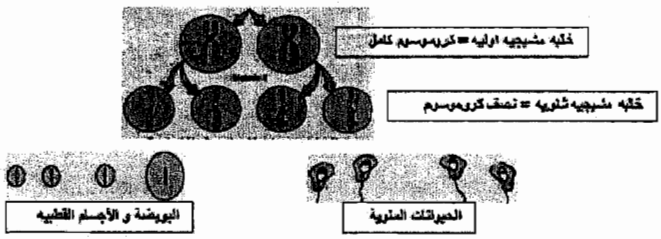

(صورة ٨. الانقسام الميوزى الثاني)"

إلى أن قال الدكتور نجا: "خلاصة الكلام عن الخلق والتصوير في الأصلاب:

تتكون الأمشاج في الأصلاب من الخلايا الجنسية بثلاثة أنواع من الانقسامات لكل خلية (صورة ٩):

الانقسام الأول: هدفه تضاعف عدد الخلايا الجنسية ويحدث بالانقسام التضاعفي (الميتوزي) وهو الخلق الذي يتبعه التصوير ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢].

الانقسام الثاني: هدفه تحويل الخلية الجنسية إلى خليه مشيجية أوليه مع تحسين الصفات الوراثية في الأبناء عن الآباء، ويحدث بالانقسام الميوزي الأول وهو الخلق مصحوب بالتصوير: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٢-٣]، وحديث ((خلقه وصوره فأحسن صورته))[١] [٢] .

الانقسام الثالث: وهدفه تضاعف كل خلية مشيجية أولية إلى مشيجين دون تحسين ويحدث بالانقسام الميوزي الثاني في الخلايا المشيجية، وهو الخلق ثم التصوير ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾.

---

(١) جزء من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما يقوله ﷺ في الصلاة، قال: ((وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صورته وشق سمعه وبصره، وتبارك الله أحسن الخالقين)). رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم (٧٧١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم (٧٦٠)، واللفظ له، والنسائي في المجتبى الحديث رقم (١١١٤).

(٢) ربط الواقع العلمي المذكور بالآية والحديث المذكورين فيه تكلف، والأمر يحتاج مزيد بحث ونظر وتأن، والله أعلم.

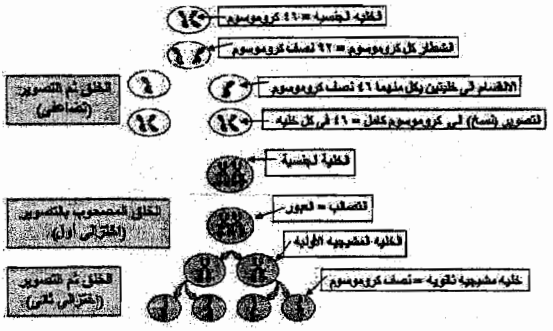

(صورة ٩ - علاقة الخلق بالتصوير في الأصلاب)

وأمام هذا الإبداع الذي لا نظير له لا أملك إلا أن أدع التعليق على هذا الإعجاز لله القائل عن نفسه: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة٥٧-٥٩]، ولذا فإنه تحدى كل من دونه قائلاً: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]"[1].

هذا بحث قيم، إلا أنه ينقصه التوسع في بيان التغيير الحاصل في الصّبغيات (الكروموسومات The chromrsomes)، لتوضيح أنه تغييرٌ إلى الأحسن حتى يصح إطلاق (تحسين النسل) على هذه العملية ؛ لأن مطلق التغيير يتناول التغيير إلى الأحسن أو إلى الأسوأ أو إلى مساوٍ مغاير. والله أعلم.

* *

(١) حديث القرآن والسنة عن الحامض النووي في الأمشاج، وهو بحث مطول لفضيلته منشور على موقع (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

المبحث الرابع

طرق تحسين النسل القديمة والحديثة

إن طرق تحسين النسل بشكل عام كثيرة جداً، **فالبيئة** مثلاً تتسبب في دور مهمٍ في تحسين النسل، فالبيئة الخالية من الأمراض أو من مسبباتها، يَنتُج فيها ذرية خالية من تلك الأمراض في الغالب، بخلاف بيئة تنتشر فيها الأمراض أو مسبباتها، فإنه ليس من المستغرب أن تكون الذرية مليئة بتلك الأمراض. فتحسين البيئة والعمل على خلوها من الأمراض سيؤدي إلى نسل وذرية أحسن حالاً من آبائها، وهو ما نسميه تحسين للنسل[١].

وكذلك **الغذاء** أيضاً يتسبب في دورٍ مهمٍ قريب مما ذكرناه عن البيئة، فالمجتمع أو العائلة أو الأفراد الذين يتناولون طعاماً صحياً فإنهم في الغالب يكونون أصحاء تستطيع أجسامهم أن تتغلب بأمر الله على كثير من الأمراض، فتخلو بيئتهم من أمراض كثيرة، فيتحسن نسلهم كما سبق.

لأجل ذلك اهتم العلماء في العصر الحديث **بالرعاية للأم** قبل الولادة[٢]، وأيضاً **التحليلات السكانية ووسائل تنظيم الأسرة** التي تؤدي بشكل أو بآخر إلى تحسين النسل في الأجيال التالية[٣].

ومن طرق تحسين النسل أيضاً: **نكاح الاستبضاع** كما سبق ذكره عن العرب في الجاهلية.

وأيضاً من الأساليب التي اتبعها العرب لتحسين النسل: **الرّضاع** ؟ إذ كانت العرب في أول أمرها تكره رضاع الإماء وتقتصر على العربيات، طلباً لنجابة

---

(١) انظر: إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (الطبـي، القاموس الطبي العربي)، وموقع (الموسوعة المعرفيـة الـشاملة)، و(جريـدة البيـان الإمارتية) العدد رقم ١٠٦١٤.

(٢) انظر: موقع (ويكيبيديا).

(٣) انظر: موقع (ويكيبيديا).

الولد، فأراهم النبي ﷺ أنه قد رضع في غير العرب[1]، وأن رضاعة الإماء لا يهجن[2].

وفي كلام الإمام ابن الجوزي (ت٥٩٧) طريق لطيف لتحسين النسل حيث يقول: "فمن أراد **نجابة الولد** وقضاء الوطر فليتخير المنكوح؛ إن كان زوجة **فلينظر إليها**، فإذا وقعت في نفسه فليتزوجها ... **ونجابة الولد مقصودة**، وفراغ النفس من الاهتمام بما حصلت من رغبات أصل عظيم، يوجب إقبال القلب على المهمات ... ونكاح المرأة المحبوبة يُفرغ الماء المجتمع، **فيوجب نجابة الولد وتمامه**، وقضاء الوطر بكماله"[3].

فمن كلام ابن الجوزي من أمر النبي ﷺ **بالنظر إلى المخطوبة**[4] يمكن أن يُعدّ -على ما ذكر من التعليل- على أنه من أساليب تحسين النسل.

---

(١) يعني بذلك ما روى البخاري في صحيحه الحديث رقم (٤٧١١، ٤٩٥٣، ٥٣٧٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٤٤٩) عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: ((قلت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان. قال: وتحبين ذلك؟ قلت: نعم؛ لست لك بمخلية، وأحبُّ من شاركني في الخير أختي. فقال: إن ذلك لا يحل لي. فقلت: يا رسول الله فوالله إنا نتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة. فقال: بنت أم سلمة؟! فقلت: نعم. قال: فوالله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها بنت أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن)).
وثويبة مرضعة النبي ﷺ كانت مولاة لأبي لهب ثم أعتقها. انظر: فتح الباري لابن حجر (٩/١٤٤-١٤٥).

(٢) انظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٧/٥٥٠-٥٥١، وفتح الباري لابن حجر (٩/٥١٧).

(٣) صيد الخاطر (ص٤٨-٤٩).

(٤) من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً خطب امرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ : ((أنظرت إليها؟ قال: لا. قال: فاذهب فانظر إليها فإنّ في أعين الأنصار شيئاً)). رواه مسلم في صحيحه الحديث رقم (١٤٢٤).

وعليه يمكن أن نرى في حديث النبي ﷺ : ((تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك))[1].

فيمكن أن نقول في الحديث دعوة بشكل أو بآخر إلى تحسين النسل، وأول ذلك تحسين النسل من الناحية الدينية بالتزوج من امرأة متدينة، ولعل هذا الأمر هو الذي ينبغي الالتفات إليه، أعني أن نسعى إلى تحسين النسل من الناحية الدينية؛ لأن في ذلك جماع الخير.

وأما المال والحسب والجمال ففي كلّ ذلك تحسين للنسل:

فالمرأة ذات المال تستطيع هي ودون مساعدة زوجها أن تتحمل النفقات المطلوبة لرعايتها كأمّ على أكمل وجه، وتستطيع أن تتغذى الغذاء المناسب الذي يكفل قوة ذريتها.

وأما الحسب فإنه تحسين نسل في الذرية؛ فقد ذكر الفقهاء أنه من دواعي اختيار الحسيبة أن يكون ولدها نجيباً[2]، وهو تحسين اجتماعي معنوي في كلّ الأحوال؛ لأن الأم ذات الحسب ستربي أولادها بعيداً عن الإجرام والجهل ونحوها من الأمور غير المرغوبة، فضلاً عن أنه من المتوقع أن العائلة ذات الحسب تعمل على تناول الغذاء النافع وتأنف عن أنواع من الأطعمة التي قد تكون غير مناسبة لحسبها ومنصبها الاجتماعي فتأتي الذرية قوية أيضاً.

وأما الجمال فهو تحسين شكلي جمالي في الذرية كما هو ظاهر معروف. والله تعالى أعلم.

ومما قد يدل لتحسين النسل من النصوص الشرعية، ما جاء في الحض على **تجنب الزواج من الإماء**، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٥٠٩٠)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٤٦٦)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٨٣/٧، وكشاف القناع ٩/٥، وشرح منتهى الإرادات ٦٢٣/٢.

الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥] إلى قوله في نفس الآية: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ **وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ** وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذا ومما ذكره بعض العلماء في ذلك من الحِكَم: عدم نجابة الأولاد(١).

ومن طرق تحسين النسل غير ما سبق ما ذكره الفقهاء من الترغيب في **نكاح المرأة البعيدة الغريبة الأجنبية**؛ ليكون الولد أنجب(٢)، ومن **كراهة التزويج ببنت الزنا وببنت الفاسق** لئلا تكتسب الذرية ذلك من طباع أبيها(٣).

ومن طرقه التي ذكرها الحكماء: أن **تكون سن المرأة بين العشرين والثلاثين، وسن الأب ما بين الثلاثين والخمسين**(٤).

أما في عصرنا الحاضر فقد تطور أمر تحسين النسل إلى القيام **بتعقيم** المجرمين والمعوقين والمتخلفين عقلياً؛ من المتوقع وجود تلك الأمراض في ذريتهم حسب قوانين الوراثة، فإذا تمّ تعقيمهم فإن ذلك يعني التقليل من وجود مثل هؤلاء في المجتمع ويكون غالب الأشخاص في حال صحية سليمة(٥).

بل وصل الأمر إلى القيام **بقتل** المجرمين والمعوقين والمتخلفين عقلياً باسم القتل الرحيم أو بدعوى منع استنزاف الموارد اللازمة، وذلك يؤدي إلى تحسين النسل بخلو المجتمع من مجرمين وسارقين متوقعين في المستقبل فإنه وجود مثل هؤلاء يؤدي إلى ظهور الإجرام والسرقة في ذرياتهم إما عن طريق الوسط

---

(١) انظر: العناية شرح الهداية ٣٩/٥.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين (ص ١٣٤)، والإقناع للشربيني ٤٠١/٢، والمصادر السابقة في الحاشية (٣).

(٣) انظر: حاشية البجيرمي٣٢٣/٣، وإعانة الطالبين ٢٧٠/٣.

(٤) انظر: أدب الدنيا والدين (ص١٣٤).

(٥) انظر: انظر: إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (ويكيبيديا)، وعرض أحمد العيتاني لكتاب (قرن التقنية الحيوية تأليف: جيرمي ريفكن) على موقع (شبكة النبأ المعلوماتية)، وجريدة الشرق الأوسط العدد رقم (٨٩٢٨).

والمجتمع الذي يؤدي إلى تشجيع ذلك بطبيعة الحال، أو عن طريق الوراثة، وكذلك يؤدي إلى خلو المجتمع أو التقليل من نسبة المعوقين والمختلفين عقلياً، فإنه من المتوقع وجود تلك الأمراض في ذريتهم حسب قوانين الوراثة[١].

إلا أن من الطرق الطبية الحديثة المستعملة اليوم لغرض تحسين النسل:

التلقيح الاصطناعي بواسطة بنوك المني؛ **إذ** تقوم في دول الغرب اليوم **بنوك للمني** منها بنوك المني الخاصة بمني العباقرة والحائزين على الجوائز العلمية، أو صفات أخرى كالقوة أو الجمال، فتقوم هذه البنوك ببيعه للراغبين والراغبات في إنجاب أطفال أذكياء أو أقوياء[٢]، بل من دواعي إنشاء بنوك المني محاولة إنجاب أطفال ذوي صفات معينة كالقوة أو الذكاء أو الجمال أو مجموعها، عن طريق أخذ نطف أصحاب تلك الصفات وحفظها في البنوك، ومن ثم بيعها لمن يريد ويدفع الثمن[٣].

ومما ذُكر على أنه من طرق تحسين النسل: **الاستنساخ**، فيتم استنساخ الأشخاص ذوي الصفات المرغوبة[٤].

من طرق تحسين النسل الحديثة أيضًا : **الإرشاد الوراثي** (Genetic Counseling) بطرقه المختلفة[٥]:

---

(١) انظر: إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (ويكيبيديا)، واليوجينيا: الحركة النسالية (Eugenics) للدكتورة ست البنات خالد محمد علي، على موقع (منظمة أم عطية الأنصارية).

(٢) انظر: البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية للدكتور إسماعيل مرحبا (ص٣٨٢).

(٣) انظر: البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية للدكتور إسماعيل مرحبا (ص٣٧٢).

(٤) انظر: موقع (ويكيبيديا).

(٥) انظر: موقع (شبكة النبأ المعلوماتية)، وموقع (ويكيبيديا)، وتحسين النسل جينياً باختيار الأزواج الحاملين لصفات وراثية مرغوبة، للدكتور عبدالفتاح محمود إدريس، منشور في مجلة الوعي الكويتية العدد رقم (٥٢٥).

"ويتم هذا التحسين بانتقاء مجموعة من الأفراد هم الأكثر صلاحية من غيرهم، لاشتمالهم على صفات وراثية مرغوبة، وتشجيعهم على الزواج ممن كان مثلهم، وحضهم على التكاثر، ومعاونتهم على تربية ذريتهم، ومثل هذا لا يمكن تحقيقه إلا **بإجراء الفحوص الجينية على الراغبين في الزواج قبل إتمامه**، للوقوف على مدى ما تحمله جيناتهما من تشوهات أو أمراض وراثية، وذلك لتجنيب نسلهما الإصابة بالأمراض والتشوهات، التي قد تنتقل إليهم من أسلافهم. ومعروف أن كثيراً من الناس لديهم استعداد وراثي للإصابة بالأمراض والتشوهات الوراثية، المنتقلة إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم من جهة الأب ومن جهة الأم"(١).

وإذا ما تمّ الزواج بين زوجين حاملين لمرض ما، فإنه يمكن تحسين النسل **بعدم إنجاب الزوجين** أي أولاد تفادياً من انتقال المرض إلى الأطفال، عن طريق التعقيم، وقد سبق.

وحتى مع الرغبة في الإنجاب فإنه يمكن تفادي وصول المرض إلى الذرية وتحسين نسلهم عن طريق **فحص الأجنة الملقحة**، فيتم غرس الجنين غير الحامل للمرض وإلقاء الأجنة الحاملة للمرض، أو إجهاضه في حال كان التلقيح غير صناعي(٢).

وأخيراً فإن من طرق التحسين الوراثي التي يعمل العلماء على التوصل إليها: **التعديل الوراثي (الجيني)**، حيث يتم تعديل المورِّثات (الجينات) التي قد تتسبب في حدوث مرض ما أو نقص صفة ما في نظر بعض الناس، فإذا ما تمّ تعديل ذلك تحسّن النسل بتفادي وقوعه، كما سيأتي بيانه في المبحث السادس إن شاء الله.

---

(١) تحسين النسل جينياً باختيار الأزواج الحاملين لصفات وراثية مرغوبة، للدكتور عبدالفتاح إدريس.

(٢) انظر: موقع (شبكة النبأ المعلوماتية)، وموقع (ويكيبيديا).

ويُتوقع أن تحسين النسل عن طريق التعديل الوراثي سيبدأ عن طريق العلاج الوراثي لتجنب الأمراض الوراثية أولاً، وبعد ذلك تأتي المرحلة الثانية التي تقوم على تحسين مستوى بعض الصفات كالذكاء أو القوة أو الجمال[١].

و"لقد قامت الباحثة الأمريكيّة (Louis Harris) باستطلاع للرأي أثبت أن ٤٠٪ من الأزواج مستعدون للاستعانة بهندسة الجينات لـــ"تحسين" الخصائص الجسمية والذهنية لذريتهم. لكن هذه العمليات نتائجها مخيّبة للآمال"[٢].

وهذا النوع من (تحسين النسل) حصل حوله جدل وأخذ ورد، بخلاف كثيرٍ من أنواع التحسين الأخرى، لذلك فإني سأتطرق لهذا النوع من التحسين بذكر الأقوال والأدلة والردود ومحاولة الخروج برأي راجح فيما يأتي في المبحث السادس إن شاء الله تعالى.

* *

(١) انظر: موقع (ويكيبيديا)، وموقع (شبكة النبأ المعلوماتية).
(٢) موقع (لكِ).

المبحث الخامس

مساوئ تحسين النسل

لئن كانت محاسن تحسين النسل التي يقوم بها البشر ظاهرة بادية للعيان، فإنه يخفي خلفه مساوئ كثيرة منها ما يتعلق بعملية تحسين النسل بشكل عام، ومنها ما هو مترتب على الطرائق المختلفة التي يتم عن طريقها تحسين النسل، وعلى سبيل المثال، فإن تحسين النسل قد يتم عن طريق التلقيح الاصطناعي، ولهذا التلقيح مساوئ ومحاذير متعددة، ومثل ذلك يُقال في العلاج الوراثي أو الاسترشاد الوراثي وغيره.

وسوف أقتصر هنا على ذكر المساوئ العامة ومنها:

١-أول مساوئه أن الهدف منه الذي يراه واضعه في العصر الحديث فرانسيس غالتون، إنما هو تحسين العرق الأبيض وانتصاره على الأعراق الأخرى[١].

٢-وجود التلازم بين تحسين النسل الإيجابي وتحسين النسل السلبي وأن الفصل بينهما من الناحية العملية غير ممكن كما أثبتت ذلك التجارب الكثيرة، سواء قصد المسئولون إيقاع التحسين السلبي أو لا لعدم إدراكهم أبعاد القرارات التي يتخذونها لتنفيذ التحسين الإيجابي.

٣-استخدام تحسين النسل الإيجابي لتبرير تحسين النسل السلبي وتمريره.

٤-أن السير في تحسين النسل يقود إلى التمييز بين الأعراق المختلفة، وهو الأمر الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى التمييز العنصري بين الأعراق المختلفة، بل بين الأصناف المختلفة في العرق الواحد.

---

(١) انظر: إغراء تحسين النسل لـ(Pierre Thuillier) على موقع (الأوان)، وموقع (ويكيبيديا)، وموقع (شبكة النبأ المعلوماتية).

٥-الوقوع في ظن أنه "يجب على البشر أن يقوموا بوعي وبمنهجية وبسرعة، بما تقوم به الطبيعة بشكل أعمى وببطء"[١]. وفي هذا مخالفة عقدية ظاهرة.

٦-ومن أبرز ما ظهر من مساوئ تحسين النسل هو ما قامت به ألمانيا النازية من الإبادة الجماعية لكثير من الأفراد.

٧-إجراء التجارب على البشر وكأنهم من حيوانات التجارب بغية الوصول إلى تطوير النوع البشري.

٨-وقوع عمليات كثيرة من الإجهاض، ومعلوم ما مضار الإجهاض على الأم وعلى المجتمع ككل.

٩-أن الأغنياء فقط هم الذين سيتمكنون من الحصول على ميزة تحسين النسل عن طريق العلاج الوراثي، وهو الأمر الذي سيزيد من الفجوة القائمة بالفعل بين الأغنياء والفقراء.

* *

(١) قاله غالتون كما في إغراء تحسين النسل لـ (Pierre Thuillier) على موقع (الأوان).

المبحث السادس

تحسين النسل باستخدام التعديل الوراثي (الجيني)

المطلب الأول: بيان العلاقة بين (تحسين النسل) والتعديل الوراثي:

التعديل الوراثي للوصول إلى (تحسين النسل) ينقسم قسمين كما ذكرنا سابقاً:

١- العلاج الوراثي (الجيني). ٢- تحسين مستوى بعض الصفات كالذكاء والقوة والجمال ونحوها، وفيما يلي بيان لذلك:

أما العلاج الوراثي فهو: تصحيح عمل المورثات التي لا تؤدي وظيفتها الصحيحة؛ إما بإصلاحها أو باستبدالها، أو إعطاء المريض إفرازات هذه المورثات[١].

وقد توصل العلماء حتى الآن إلى طريقين للعلاج الوراثي، هما:

الطريق الأول: إصلاح المورّث الذي حدث منه الخلل، إما بإزاحته بالكلية ووضع مورثٍ سليمٍ مكانه، أو بتعديلٍ في المورِّث (الجين) المعطوب[٢].

الطريق الثاني: عن طريق استخلاص مورّث سليم من إنسان سليم، وزرعه والحصول على إفرازاته وإعطائها كدواء لمريض مورّثه معطوب لا يفرز هذا الإفراز[٣].

---

(١) انظر: البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية للدكتور إسماعيل مرحبا (ص٦٩٤).

(٢) انظر: قراءة الجينوم البشري للدكتور حسان حتحوت (ص٢٧٩)، العلاج الجيني للدكتور عبد الهادي مصباح (ص ٥٨)، والعصر الجديد للطب للدكتور خالص جلبي (ص٣٧)، والعلاج بالهندسة الوراثية للدكتور مصطفى فهمي (ص١١٩)، وتكنولوجيا العلاج الجسدي الجيني للدكتور وجدي سواحل (ص١٣٥)، وقضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (١٨١/٢).

(٣) انظر: قراءة الجينوم البشري للدكتور حسان حتحوت (ص٢٧٩)، والوصف الشرعي للجينوم البشري للدكتور عجيل النشمي (ص٥٥٤)، والعلاج بالهندسة الوراثية للدكتور مصطفى فهمي (ص١١٦-١١٨)، وجريدة الوطن السعودية (ع٥٧٩، ص٣٥).

والطريق الأول هو الذي له علاقة بالتحسين الوراثي، وأما الثاني فهو علاج مؤقت للشخص نفسه ولا علاقة له بذريته ونسله في المستقبل.

ويشمل العلاج الوراثي بطريقة إزاحة المورّث المعطوب نوعين من الخلايا الآدمية:

١- الخلايا الجسدية (Somatic cells)[١].

٢- الخلايا الجنسية (Grem cells): الحيوان المنوي أو البييضة أو البييضة الملقحة [٢].

ولا تختلف طريقة العلاج الوراثي للخلايا الجنسية عن طريقة العلاج الوراثي للخلايا الجسدية، إلا أن النتيجة المترتبة عليها تختلف من حيث إن الخلايا الجنسية تنقل الصفات الوراثية للأجيال المتعاقبة، فعلاج المورّث هنا لا يؤثر فقط على المادة الوراثية للشخص المريض، بل على المخزون الوراثي لذريته أيضاً. فالمورث الذي يتم نقله إلى الخلية الجنسية سيصبح ثابتاً في التركيب الوراثي للإنسان، وعليه ستتوارثه الأجيال، وعلى المدى البعيد سيكون التأثير على مجموع الصفات الوراثية للبشرية جمعاء.

---

(١) انظر: لمحة حول ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." د. أحمد الجندي (ص٢٨)، والوصف الشرعي للجينوم البشري د.عجيل النشمي (ص٥٥٥)، والهندسة الوراثية د.إياد إبراهيم (ص ٩٢)، والهندسة الوراثية د.عبد الناصر أبو البصل (ص٧٠٤)، وتكنولوجيا العلاج الجسدي للدكتور وجدي سواحل (ص١٣٥-١٣٦)، وقضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (١٨٣/٢).

(٢) انظر: لمحة حول ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." للدكتور الجندي (ص٢٨)، والوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني للدكتور النشمي (ص٥٥٥)، والهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع للدكتور إياد (ص ٩٢)، والهندسة الوراثية من المنظور الشرعي للدكتور عبد الناصر أبو البصل (ص٧٠٤)، وتكنولوجيا العلاج الجسدي الجيني للدكتور وجدي سواحل (ص١٣٦)، والطب الوراثي .. وحافة الخطر للدكتور مصطفى فهمي (ص٨٥)، وقضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (١٨٣/٢).

وبما أن عواقب العلاج الوراثي لم تعرف يقيناً حتى الآن وخاصة على مداها البعيد، فإن العلماء لم يطبقوا هذا العلاج على الخلايا الجنسية على الإنسان حتى الآن(١).

وأيضاً فإن العلاج الوراثي في الخلايا الجسدية لا مدخل له في تحسين النسل، وإنما الذي يتعلق بموضوعنا هو العلاج الوراثي في الخلايا الجنسية فقط.

كلّ ما سبق هو **المرحلة الأولى** للتحسين الوراثي والتي تتم عن طريق العلاج الوراثي.

وبعد ذلك تأتي **المرحلة الثانية** التي تقوم على تحسين مستوى بعض الصفات كالذكاء أو القوة أو الجمال؛ إذ إن العلاج الوراثي السابق "يمكن استخدامه لا للعلاج فحسب، بل أيضاً لتحسين حالة الأصحاء بأن ندخل عليهم جينات حاملة لصفات وراثية أفضل، كأن يزداد ذكاؤهم مثلاً... على أن الوصول إلى أهداف كهذه ليعدّ حالياً أمراً بعيد المنال نسبياً"(٢).

وهذه المرحلة تتم كما سبق بيانه فيما يتعلق بالمرحلة الأولى تماماً فهي عبارة عن إصلاح في المورّث (الجين)، وهذا الإصلاح يكون في الخلايا الجنسية أيضاً، إلا أن الفارق بينهما أن المرحلة الأولى عبارة عن علاج للأمراض، وهذه المرحلة ليس فيها علاج ؛ لذا فإن الحكم الشرعي الآتي سيكون مفصلاً لكل مرحلة على حدة.

---

(١) انظر: الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع للدكتور إياد أحمد إبراهيم (ص ٩٦-٩٧)، وتكنولوجيا العلاج الجسدي الجيني للدكتور وجدي سواحل (ص ١٣٦)، والطب الوراثي .. وحافة الخطر للدكتور مصطفى فهمي (ص ٨٥)، وقضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (٢/١٨٤-١٨٥).

(٢) العلاج بالهندسة الوراثية للدكتور مصطفى فهمي (ص ١١٩).

المطلب الثاني: حكم تحسين النسل عن طريق علاج الأمراض الوراثية:

اتفق العلماء المعاصرون على تحريم العلاج الوراثي في الخلايا الجنسية (تحسين النسل العلاجي)، فيما إذا كانت المورثات من شخص آخر غير المريض[1].

وذلك لأنها في حكم التلقيح بين خلية امرأة، وماء رجل أجنبي، فالتلقيح إنما هو لتكوين الجنين بصفات أبويه الشرعيين، وإدخال المورّث السليم في شخص آخر إنما هو جزء من التلقيح أو تعديل الصفات[2].

وبه صدرت توصية ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني- رؤية إسلامية". حيث جاء فيها ما نصه:

---

(١) وممن ذهب إلى ذلك: ١- الدكتور عجيل النشمي، في "الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني" (ص٥٥٩).
٢- الدكتور عبد الستار أبو غدة، في "المواكبة الشرعية لمعطيات الهندسة الوراثية" (ص٥٩٠).
٣- الدكتور أحمد حجي الكردي، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٦٠١).
٤- الدكتور إياد أحمد إبراهيم في الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع (ص ٩٨).
٥- الدكتور عبد الناصر أبو البصل في الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي (ص٧٠٨).
٦- الدكتور حسان حتحوت، كما في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ع١١، ج٣، ص٥٨٦).
٧- الدكتورة صديقة العوضي (طبيبة)، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص١٠٠٢).
٨- الدكتور محسن الحازمي (عالم وراثة)، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٦٠٢).

(٢) انظر: الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي للدكتور عبد الناصر أبو البصل (ص٧٠٨).

"ورأت الندوة جواز استعمالها [أي: الهندسة الوراثية] في منع المرض أو علاجه أو تخفيف أذاه ... مع منع استخدام الهندسة الوراثية على الخلايا الجنسية grem cells لما فيه من محاذير شرعية"[1].

وهذا يشمل فيما إذا كانت المورثات من شخص غير المريض. وكذلك إذا كانت من المريض نفسه، وهي المسألة التالية.

وأما العلاج الوراثي (الجيني) في الخلايا الجنسية (تحسين النسل العلاجي) فيما إذا كانت المورثات من نفس الشخص أو من أحد الزوجين، ففيه القولين الآتيين:

القول الأول: أنه لا يجوز. وهو قول الجمهور من المعاصرين[2].

وعليه توصية ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني- رؤية إسلامية" كما سبق.

القول الثاني: أنه جائز. وهو قول بعض المعاصرين[3].

---

(١) ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص١٠٤٨).

(٢) ومنهم السابق ذكرهم في القائلين بتحريم العلاج الجيني في الخلايا الجنسية إذا كانت من شخص آخر غير المريض، عدا الدكتور أحمد الكردي والدكتور إياد أحمد إبراهيم والدكتور عبد الناصر أبو البصل.

(٣) قال بهذا القول: ١- الدكتور إياد أحمد إبراهيم، في بحثه الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع (ص ٩٨-٩٩)، بشرط الأمن من المخاطر والمفاسد المترتبة من جراء هذا العلاج.

٢- الدكتور عبد الناصر أبو البصل في الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي (ص٧٠٦-٧٠٧).

٣- وإليه مال الدكتور أحمد حجي الكردي، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٦٠١)، حيث قال: " النقطة الأولى: تعرض لها فضيلة الدكتور عجيل، وهي (معالجة الجينات في الأعضاء الجنسية) ترى ما الفارق بين الأعضاء الجنسية وسائر الأعضاء الأخرى، ما دام لم يُضف إليها عنصر غريب؟! الجينات من الإنسان نفسه، فما هو الفارق بين هذه الأعضاء وتلك الأعضاء؟ إذ لو كان هناك عنصر غريب فأنا أفرق بينهما". اهـ المراد من كلامه.

- **أدلة القول الأول القائل بتحريم العلاج الوراثي للخلايا الجنسية:**

١- أن الدخول في علاج الخلايا الجنسية بالعلاج الوراثي يُفضي إلى مفاسد تتعلق بالأنساب راعى الشارع الكريم دَرْأها[١].

٢- أن حفظ النسب أحد المقاصد الخمسة للتشريع، وقد شرعت لحمايته أحكام شرعية كثيرة[٢].

٣- كما أن العلاج الوراثي للخلايا الجنسية غير ضروري، لوجود تقنيات أسهل يمكن استخدامها لمنع المورّث المسبب للمرض من أن يورث، وذلك باستخدام تشخيص البييضة الملقحة قبل الغرس في الرحم، عن طريق التلقيح الاصطناعي، فنقوم باستبعاد البييضات المريضة وغرس البييضات السليمة. كما أنه بهذه الطريقة نتجنب المحاذير المرتبة على العلاج الوراثي[٣].

٤- قاعدة: لا ضرر ولا ضرار[٤].

وجه الدلالة من القاعدة: أن العلماء لم يتمكنوا من التحكم بهذا العلاج إلى الآن، فأي ضرر يحصل للمُعالج فإنه سينتقل إلى نسله من بعده، وهذا من الضرر الذي يجب رفعه.

---

(١) انظر: الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني للدكتور عجيل النشمي (ص٥٥٩).

(٢) انظر: المواكبة الشرعية لمعطيات الهندسة الوراثية للدكتور عبد الستار أبو غدة (ص٥٨٩).

(٣) انظر: الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع للدكتور إياد أحمد إبراهيم (ص ٩٧-٩٨).

(٤) انظر في هذه القاعدة: التمهيد لابن عبد البر (٥٣/٧)، والموافقات للشاطبي (٦٣٢/٢).

• **دليل القول الثاني القائل بجواز العلاج الوراثي للخلايا الجنسية فيما إذا كان من نفس الشخص أو من أحد الزوجين:**

١- لأن الحيوان المنوي والبييضة يحملان صفات الأبوين كلها، وفي العلاج الوراثي للخلايا الجنسية إدخال لبعض هذه الصفات، فليس هناك عنصر غريب(١).

الرد على هذا الاستدلال: أن تحريم العلاج الوراثي للخلايا الجنسية من نفس الشخص أو من أحد الزوجين، ليس هو لوجود عنصر غريب أو عدم وجوده، بل هو للأخطار المترتبة من انتقال الأمراض للغير وهو الذرية.

أما تعليق الجواز بشرط عدم وجود المخاطر والمفاسد، فالجميع يتفق على هذا الرأي، إلا أن الحكم هنا هو للواقع الموجود، وليس للمستقبل المرجو. والله أعلم.

٢- ويُستدل له بعموم أدلة مشروعية العلاج، والعلاج الوراثي من جملتها.

الرد على هذا الاستدلال: أن طرق العلاج الوراثي ليست آمنة اليوم، وتوجد طرق آمنة متيسرة، فلا يُعدل عنها إلى غيرها.

الترجيح:

الذي يظهر لي في هذه المسألة القول بالمنع حالياً، وذلك لوجود التقنيات الأكثر سهولة لمنع انتقال المرض، مع غموض الأضرار المستقبلية المتوقعة من جراء العلاج الوراثي. والله أعلم.

---

(١) انظر: الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع للدكتور إياد أحمد إبراهيم (ص٩٩)، والهندسة الوراثية من المنظور الشرعي للدكتور عبد الناصر أبو البصل (ص٧٠٧).

المطلب الثالث: حكم تحسين النسل عن طريق تحسين مستوى بعض الصفات كالذكاء أو القوة أو الجمال ونحوه:

اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: تحريم هذا النوع تحسين النسل. وهو قول أكثر المعاصرين[1].

وبه صدرت توصية "ندوة الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني- رؤية إسلامية"، حيث جاء في توصيتها ما نصه: "كذلك ترى الندوة أنه لا يجوز استخدام الهندسة الوراثية سياسة لتبديل البنية الجينية فيما يُسمى بتحسين السلالة البشرية، ولذا فإن أي محاولة للعبث الجيني بشخصية الإنسان أو التدخل في أهليته للمسئولية الفردية أمر محظور شرعاً"[2].

---

(١) ومنهم:

١- الدكتور عبد الله محمد عبد الله، في "نظرات فقهية في الجينوم البشري والهندسة الوراثية – العلاج الجيني" (ص٧٤٦).

٢- الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٨٤٨-٨٥٠).

٣- الدكتور عجيل النشمي، في "الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني" (ص٥٦٧).

٤- الدكتور أحمد شوقي (أستاذ وراثة)، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٦٠٠).

٥- الدكتور إياد أحمد إبراهيم في الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع (ص ١٠٦).

٦- الدكتور عبد الناصر أبو البصل في الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي (ص٧١٢).

٧- الدكتور السيد نوح، كما في مقال له بعنوان "تحسين الجينات مرفوض شرعاً" (ص٣٧).

(٢) ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص١٠٤٩).

وقرار المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الخامسة عشرة، حيث جاء فيه ما نصه: "لا يجوز استخدام أي من أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله للعبث بشخصية الإنسان، ومسؤليته الفردية، أو للتدخل في بنية المورثات (الجينات) بدعوى تحسين السلالة البشرية"(١).

القول الثاني: إباحة الانتفاع بالعلاج الوراثي بغية تغيير المقاييس بالطول أو القصر أو الجمال ونحوها.

وإليه ذهب بعض العلماء المعاصرين(٢).

- **أدلة القول الأول القائل بالتحريم:**

١- قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً. وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذْ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ [النساء: ١١٧-١١٩].

وجه الدلالة: أن الله تعالى ذمّ الذين يغيرون خلق الله، وهذا العلاج الوراثي من تغيير خلق الله، فيكون داخلاً في الذمّ(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

---

(١) انظر: قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة. الدورات من الأولى إلى السادسة عشرة (ص٣١٢).

(٢) ومنهم: ١- الدكتور محمد رواس قلعة جي، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٥١٣-٥١٤).
٢- الدكتور محمد رأفت عثمان، كما في ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٨٣٤).

(٣) انظر: الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي للدكتور عبد الناصر أبو البصل (ص٧١٣)، وثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٥١٣، ٨٥٠).

وجه الدلالة من الآية: حيث دلت الآية أنه لا مجال للإنسان أن يستدرك على الله تبارك وتعالى في أن يُحسّن فيما خلق، فأي تدخل من الإنسان بعد ذلك فإنه يدخل في الإفساد[١].

ورُدّ هذا الاستدلال: بأن التغيير في الآية هو التغيير نحو الأسوأ، أما التغيير الذي يُراد به التحسين فهو مشروع[٢].

وأجيب عن هذا الرد: بأن التغيير يكون مقبولاً إذا كان لغرض مشروع نافع، ويكون محرماً إذا كان لغرض غير مشروع ضار، و"ملاك تفسير هذه الآية: أن كل تغيير ضار فهو في الآية، وكل تغيير نافع فهو مباح"[٣]، وعليه فالتغيير في المورثات (الجينات) يكون مشروعاً إذا كان في حيّز العلاج، ويكون محرماً إذا كان في حيّز العبث، ومن العبث التغيير في الهيئة والشكل واللون والطول والقصر ونحوه[٤].

٣- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((لعن الله الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله ... وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله ...)) الحديث[٥].

وجه الدلالة من الحديث: أن هذا الحديث يدل على تحريم الأمور المذكورة معللة بتغيير الخلق بغية طلب الحسن والجمال، والعلاج الوراثي على الصفة

---

(١) انظر: ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٨٤٩-٨٥٠).
(٢) انظر: ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٥١٣، ٨٥٠).
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٢٦٠.
(٤) انظر: الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني للدكتور عجيل النشمي (ص٥٦٦-٥٦٧).
(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه الحديث رقم (٤٨٨٦)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (٢١٢٥).

المذكورة هو تغيير للخلق بغية الحسن والجمال فيكون داخلاً تحت الوعيد الوارد في الحديث[1].

٤- أن الأصل في الدخول إلى الخلية التناسلية المنع، ولا يُخالف هذا الأصل إلا للضرورة، ولا ضرورة للقيام بهذه العمليات ؛ إذ هي من باب التحسينيات، فلا يجوز إجراء هذه الأمور[2].

- **أدلة القول الثاني القائل بالإباحة:**

١- قول النبي ﷺ : ((إن الله جميل يحب الجمال))[3].

وجه الدلالة من الحديث: أن الحديث دلّ على مشروعية طلب الجمال، والعلاج على الصفة المذكورة، المراد به طلب الجمال، فيكون مشروعاً[4].

٢- أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد حظر، ولم يرد حظر في هذا التغيير للجمال[5].

٣- القياس على جواز عمليات التجميل التحسينية[6].

ويمكن الرد على هذه الاستدلالات بما يلي:

---

(١) انظر: نظرات فقهية في الجينوم البشري والهندسة الوراثية – العلاج الجيني للدكتور عبد الله محمد عبد الله (ص٧٤٦-٧٤٧)، والهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع للدكتور إياد أحمد إبراهيم (ص ١٠٦-١٠٧).

(٢) انظر: الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع للدكتور إياد أحمد إبراهيم (ص ١٠٦)، والهندسة الوراثية من المنظور الشرعي للدكتور عبد الناصر أبو البصل (ص٧١٢).

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه الحديث رقم (٩١). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٨٣٤).

(٥) انظر: ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٨٣٤-٨٣٥).

(٦) انظر: ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ..." (ص٥١٤).

أ- صحيح أن طلب الجمال مطلوب شرعاً، ولكن طلب الجمال بالمحرّم محرّم غير مطلوب، كما في الوشم والنمص والتفليج، فإنه إنما يفعله من يفعله طلباً للجمال، ومع ذلك فهو ممنوع شرعاً.

ب- نعم الأصل في الأشياء الإباحة، ولكن في مسألتنا هذه قد سبق ذكر ما يُستدل به على التحريم.

ج- أنه قياس على محل الخلاف، فلا يسلم من أن يدعي المخالف عدم جواز عمليات التجميل التحسينية.

الترجيح:

بعد هذا العرض أرى أن الراجح هو ما ذهب إليه جمهور العلماء المعاصرين من القول بعدم جواز هذا النوع من تحسين النسل لما سبق من الأدلة، خاصة أنا قد منعنا من تحسين النسل عن طريق العلاج الوراثي، مع أن العلاج الوراثي في مرتبة الحاجيات، وهذا التحسين الوراثي في منــزلة التحسينيات ؛ لذا فالقول بالمنع هنا من باب أولى وأحرى، والله أعلم.

* *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي منّ عليّ بكتابة هذا البحث الذي أرجو أن يكون نافعاً للمسلمين، وفي ختام هذا البحث أحبّ أن أؤكد أهم النقاط التي تمّ التوصل إليها من خلال هذا البحث، وهي:

١- تحسين النسل هو: كلّ طريقة يتم بموجبها تحقيق أمور مرغوبة في الذرية لم تكن في أصلها، أو إلغاء أمور غير مرغوبة كانت في أصلها.

٢- عملية تحسين النسل متبعة قديماً بالمعطيات التي كانت متوافرة لأهل كلّ زمان، وقد تطور هذا العلم في عصرنا تطوراً كبيراً بسبب رسوخ قواعد علم الوراثة من جهة، والتطور الطبي الكبير في مجال المورِّثات (الجينات).

٣- أثناء تخلّق الجنين يتم حدوث تغيير في مورّثات (جينات) الجنين بحيث تختلف عن مورثات الأب والأم، فإذا كان هذا التغيير للأحسن فإنه يُعدّ بهذا الاعتبار تحسيناً للنسل.

٤- طرق تحسين النسل كثيرة ومتنوعة منها: تحسين البيئة، وتحسين الغذاء، والرعاية للأم قبل الولادة، والتحليلات السكانية ووسائل تنظيم الأسرة، ونكاح الاستبضاع، وتحسين الرّضاع، والنظر إلى المخطوبة قبل الزواج، وكون المرأة ذات مال أو حسب أو جمال، وتجنب الزواج من الإماء، ونكاح المرأة البعيدة الغريبة الأجنبية، وترك التزويج ببنت الزنا وببنت الفاسق، وكون سن المرأة بين العشرين والثلاثين وسن الأب ما بين الثلاثين والخمسين، وتعقيم المجرمين والمعوقين والمتخلفين عقلياً، أو حتى قتلهم، والتلقيح الاصطناعي بوساطة بنوك المني، والاستنساخ، والإرشاد الوراثي بطرقه المتعددة كإجراء الفحوص الجينية على الراغبين في الزواج، أو

الحض على عدم إنجاب الزوجين تفادياً من انتقال المرض إلى الأطفال عن طريق التعقيم، أو طريق فحص الأجنة الملقحة، وأخيراً التعديل الوراثي (الجيني) بنوعيه العلاجي والتحسيني.

٥- أعظم أنواع تحسين النسل هو التحسين من الناحية الدينية عن طريق نكاح المرأة ذات الدين.

٦- لتحسين النسل مساوئ وأضرار يمكن أن تحدث؛ مع ما يمكن أن يُجنى من خلاله من مزايا وحسنات.

٧- إطلاق القول بجواز تحسين النسل أو تحريمه خطأ ظاهر؛ إذ لتحسين النسل طرق متعددة يختلف الحكم باختلافها.

٨- تحسين النسل يكون بالتعديل الوراثي عن طريقين: أولاً: العلاج الوراثي. ثانياً: التحسين الوراثي. وليس هو مقصوراً على التحسين الوراثي فقط.

٩- العلاج الوراثي يكون تحسيناً للنسل بشرطين اثنين: أولاً: إذا كان عن طريق إصلاح المورّث (الجين) الذي حصل به الخلل. ثانياً: إذا كان هذا الإجراء يتم في الخلايا الجنسية لا الخلايا الجسدية.

١٠- يحرم تحسين النسل، فيما إذا كانت المورثات من شخص آخر غير المريض **اتفاقاً**.

١١- تحسين النسل عن طريق التعديل الوراثي (العلاجي والتحسيني) فيما إذا كانت المورثات من نفس الشخص أو من أحد الزوجين، فيه قولان بالمنع وبالجواز، والراجح المنع.

فهرس المصادر والمراجع

١- أدب الدنيا والدين. للماوردي. ط١/١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢- الاستنساخ والإنجاب. للدكتور كارم غنيم. ط١/١٤١٨هـ. دار الفكر العربي – القاهرة.

٣- إعانة الطالبين لأبي بكر الدمياطي. دار الفكر – بيروت.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية. تحقيق طه عبد الرءوف سعد. دار الجيل ـ بيروت.

٥- الإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع. للخطيب الشربيني. ط/١٤١٥هـ. دار الفكر – بيروت.

٦- البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية. للدكتور إسماعيل مرحبا. ط١/ دار ابن الجوزي – الدمام.

٧- تحسين الجينات مرفوض شرعاً. للدكتور السيد نوح. مقال منشور في مجلة الإصلاح. العدد ٢٣١.

٨- تفسير ابن جرير (جامع البيان). لابن جرير الطبري. تحقيق أحمد شاكر. ط١/ ١٤٢٠هـ. مؤسسة الرسالة – بيروت.

٩- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم). لابن كثير الدمشقي. ط١/١٤٠٨هـ. دار الحديث ـ القاهرة.

١٠- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). للقرطبي. ط١/١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. دار الكتب العلمية – بيروت.

١١- تكنولوجيا العلاج الجسدي الجيني. للدكتور وجدي عبد الفتاح سواحل. مقال منشور في مجلة العربي. العدد ٤٥٠.

١٢- التمهيد. لابن عبد البر. تحقيق جماعة. طـ١/١٣٨٧هـ. وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ـ المغرب.

١٣- ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني – رؤية إسلامية". المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية. إشراف الدكتور عبد الرحمن العوضي. تحرير الدكتور أحمد الجندي. ط١/١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٤- جريدة الوطن السعودية العدد رقم (٥٧٩) الأربعاء ١٨ صفر ١٤٢٣هـ. الموافق ٦ مايو ٢٠٠٢م.

١٥- حاشية البجيرمي. لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي. المكتبة الإسلامية – تركيا.

١٦- سنن أبي داود. للإمام سليمان السجستاني. تحقيق عزت الدعاس. دار الحديث – حمص.

١٧- شرح صحيح البخاري. لابن بطال. تحقيق ياسر إبراهيم. ط١/ ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م. مكتبة الرشد – الرياض.

١٨- شرح منتهى الإرادات. للعلامة الفقيه منصور بن يونس البهوتي. عالم الكتب– بيروت.

١٩- الصحاح. لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط٤/١٩٩٠م. دار العلم للملايين.

٢٠- صحيح البخاري = فتح الباري.

٢١- صحيح مسلم. للإمام مسلم بن الحجّاج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط١٤٠٣/هـ. دار الفكر-بيروت.

٢٢- صيد الخاطر. لابن الجوزي. تحقيق عبد القادر عطا. ط١٤١٢/١هـ - ١٩٩٢م. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٣- الطب الوراثي .. وحافة الخطر. للدكتور مصطفى إبراهيم فهمي. مقال منشور في مجلة العربي. العدد ٤٢٩.

٢٤- العصر الجديد للطب. للدكتور خالص جلبي. ط١٤٢٠/١هـ. دار الفكر المعاصر -بيروت.

٢٥- العلاج الجيني واستنساخ الأعضاء البشرية. للدكتور عبد الهادي مصباح. ط١/ ١٤٢٠هـ . الدار المصرية اللبنانية – القاهرة.

٢٦- العلاج بالهندسة الوراثية. للدكتور مصطفى إبراهيم فهمي. مقال منشور في مجلة العربي. العدد ٤٠٤..

٢٧- العناية شرح الهداية للبابرتي. مطبوع مع فتح القدير. لابن الهمام الحنفي. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٨- فتح الباري. لابن حجر العسقلاني. ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة – بيروت.

٢٩- القاموس المحيط. للفيروز آبادي. دار الفكر – بيروت.

٣٠- قاموس حِتّي الطبي الجديد. وضع: الدكتور يوسف حِتّى وأحمد شفيق الخطيب. ط١٩٩٨/٤م. مكتبة لبنان – بيروت.

٣١- قراءة الجينوم البشري. للدكتور حسان حتحوت. ضمن ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ...".

٣٢- قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة. الدروات من الأولى إلى السادسة عشرة. ١٣٩٨-١٤٢٢هـ.

٣٣- قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية. إعداد جمعية العلوم الطبية الإسلامية المنبثقة عن نقابة الأطباء الأردنية. ط١/١٤١٥هـ. ١٩٩٥م. دار البشير. عمان – الأردن.

٣٤- كشاف القناع عن متن الإقناع. للشيخ منصور البهوتي. ط/١٤٠٢هـ. دار الفكر – بيروت.

٣٥- لمحة حول ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية ...". للدكتور أحمد رجائي الجندي. ضمن ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني – رؤية إسلامية".

٣٦- المجتبى للنسائي. للإمام النسائي. ومعه شرح السيوطي. وحاشية السندي. ط/٢/١٤١٢هـ. دار المعرفة – بيروت.

٣٧- مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، ط مجمع الفقه الإسلامي – جدة.

٣٨- المحرر الوجيز. لابن عطية. تحقيق المجلس العلمي بفاس. ط١٣٩٧هـ. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – المغرب.

٣٩- معجم المقاييس في اللغة. لابن فارس بن زكريا. تحقيق شهاب الدين أبو عمرو. ط٢/١٤١٨هـ. دار الفكر – بيروت.

٤٠- المغني. لابن قدامة. ط١/ ١٤٠٥هـ. دار الفكر –بيروت.

٤١- الموافقات في أصول الشريعة. لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت٧٩٠). تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان. ط٤/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. دار المعرفة – بيروت.

٤٢- المواكبة الشرعية لمعطيات الهندسة الوراثية. للدكتور عبد الستار أبو غدة. ضمن ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني – رؤية إسلامية".

٤٣- نظرات فقهية في الجينوم البشري الهندسة الوراثية – العلاج الجيني. للدكتور عبد الله محمد عبد الله. ضمن ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني – رؤية إسلامية".

٤٤- الهندسة الوراثية بين معطيات العلم وضوابط الشرع. للدكتور إياد أحمد إبراهيم. ط١/١٤٢٣هـ –٢٠٠٣م. دار الفتح للدراسات والنشر. عمّان – الأردن.

٤٥- الهندسة الوراثية من المنظور الشرعي. للدكتور عبد الناصر أبو البصل. مطبوع ضمن كتاب: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة. تأليف مجموعة من الدكاترة. ط١/١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. دار النفائس الأردن.

٤٦- الوصف الشرعي للجينوم البشري والعلاج الجيني. للدكتور عجيل النشمي. ضمن ثبت أعمال ندوة "الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والعلاج الجيني – رؤية إسلامية".

* *

مواقع الشبكة الإلكترونية (الانترنت)

الموقع	العنوان
شبكة النبأ الإلكترونية	http://www.annabaa.org/nbanews/١٤٢/٦٢.htm
ويكيبيديا	http://en.wikipedia.org/wiki/Eugenics
الطبي، القاموس الطبي العربي	http://www.altibbi.com/definition
الأوان	http://www.alawan.org/%D%٨AF%D%٨A%٧D%٨B%١D%٨٨%٩D٨%٩A%D٨٦%٩-%D%٨٨%٩D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨AB%D%٨٨%٩D%٨B%١D%٨A٩،٤٦١١.html
موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة	http://www.٥٥a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=١١٩٨&select_page=٢
الموسوعة المعرفية الشاملة	http://mousou٣a.educdz.com/٠٦٢٩١٥/٠_١.htm
جريدة البيان الإماراتية العدد رقم ١٠٦١٤، بتاريخ ١٠ يوليو ٢٠٠٩ ، ١٧ رجب ١٤٣٠هـ	http://www.albayan.ae/servlet/Satellite?cid=١١٣٢٨٠٢٣٩٧٥٢٠&pagename=Albayan%
جريدة الشرق الأوسط العدد رقم (٨٩٢٨)، الجمعة ٠٧ ربيع الأول ١٤٢٤ هـ ٩ مايو ٢٠٠٣م	http://www.aawsat.com/details.asp?section=١٧&article=١٦٩٧٠٥&issueno=٨٩٢٨
منظمة أم عطية الأنصارية	http://www.umatia.org/٢٠٠٩/eugenics.html
مجلة الوعي الكويتية العدد رقم (٥٢٥)	http://alwaei.com/topics/view/article_new.php؟
لك	http://www.lakii.com/vb/showthread.php؟

* * *